تقرير وحدة الدّراسات التّأويليّة والفلسفيّة

ندوة: قراءة في المشروع الفكريّ لنصر حامد أبي زيد في ذكرى رحيله".

قدّمت وحدة الدّراسات الفلسفيّة والتّأويليّة بالمشاركة مع وحدة الدّراسات الحضاريّة وعلوم الأديان، بتاريخ 3 يوليو/ تموز 2023، **ندوة بعنوان: قراءة في المشروع الفكريّ لنصر حامد أبي زيد في ذكرى رحيله"،** قدّم فيها د. سعد كمّوني، دكتور باحث في علوم القرآن، ورقة بعنوان "مفهوم اللّغة عند نصر حامد أبي زيد".

تناول د. كمّوني أطروحات أبي زيد في مفهوم اللّغة، فاللّغة مُنتَج للثّقافة مثلما هي مُنتَج ثقافي، وبالتّالي أتى على طرح أبي زيد في ضرورة تسييق النصّ حسب البيئة اللّغويّة والثّقافيّة التي رافقته، وكذلك السّياقية من حيث تعامله مع النصّ على أنّه تاريخيّ، (تشكّل خلال بضع وعشرين سنة)، فالسّياق اللّغوي هو بيئيّ اجتماعيّ. واللّغة تقدّم الإنسان باعتباره كائنا لغويّا، إذ تساعده اللّغة على فهم العالم، بل إنّ فهمه للعالم والكون يؤثّر بدوره في بنية لغته تلك.

وأوضح د. كمّوني أنّ حامدا أبا زيد استفاد من العلوم اللّغوية الحديثة والسّيمولوجيا واللّسانيّات بعيدا عن توظيف حرفيّ للمقولات، إذ تمثّل مشروعه في الانطلاق من قراءة معاصرة للإنجازات التراثيّة في علوم اللّغة والبلاغة، حيث تطرح بذورا تسمح بتأسيس إنجازات العلوم الحديثة تأسيسا ثقافيّا عربيّا، ليتوضّح مشروع نصر حامد أبي زيد مشروعا رائدا في تأويل النّصوص التّراثية في ظلّ الاهتمامات الحداثيّة الرّاهنة.

ثمّ قدّم د. عبد الباسط هيكل، أستاذ العلوم العربيّة وآدابها بكلّية اللّغة العربيّة- القاهرة، ورقة بعنوان: "حركيّة منهج نصر حامد أبي زيد"، بيّن فيها أهمّية القراءة الواعية، ذلك أنّ إشكاليّات التّأويل تنطلق من طبيعة الأسئلة التي تصفها القراءة.

بهذا عمد د. هيكل إلى رصد مشروع نصر حامد أبي زيد الفكريّ وتتبّع حركيّة منهجه العلميّ، سواء عبر مشروعه أو بين مؤلّفاته، وفق منهجيّة تنطلق من فعاليّة المؤوّل، مستقرئا إنتاجات نصر في كتاب "الاتّجاه العقليّ في التّفسير"، وكتاب "دراسة في تأويل القرآن عند ابن عربيّ" إلى مرحلة أخرى تأويليّة، حيث تحضر أسئلة حول طبيعة النصّ مع كتاب مثل" مفهوم النصّ ودراسة علوم القرآن"، سلك فيها نصر حامد حركة محّوكيّة منهجيّة بين القدماء مثل عبد القادر الجرجاني، أو المعتزلة والأشاعرة، ومن ثمّ ربطها بتحليل النّصوص وفق علوم اللّغة الحديثة، مبرزا أنّ ما كان يحصل من تأويلات مبنيّ على مسلّمات لاهوتيّة مشتركة بين الخصوم رغم الاختلاف. فالنصّ أو المصحف ينطق بالشّيء ونقيضه وفق الاستشهادات، وبالتّالي تعمل كلّها على ترسيخ مبدأ النصّ الثّابت.

من هنا انتقل نصر إلى التّعامل النّقدي مع التّيار الدّيني في حركة منهجيّة من تأويليّة من جانب النصّ (حيث وجود أسئلة حول طبيعة النصّ) إلى تأويليّة أخرى تتناول تحليل الخطاب ودلالاته وفق سؤال مستمرّ ومراجعة لسؤال المنهج، وقوفا عند تحليل الخطابات، حيث تستوجب تحليل بنيتها أسلوبيّا وسرديّا وتبيّن دلالاتها السّيميولوجيّة واللّسانيّة وعلاقاتها بالسّياق الخارجيّ، من أجل الكشف عن الدّلالات الصّريحة والمضمرة فيها.

وقدّم أيضا الأستاذ صبحي نايل، وهو أستاذ باحث في الفكر العربي/ الإسلاميّ المعاصر، ورقة بعنوان: "إعادة تعريف القرآن في مشروع نصر من النصّ إلى الخطاب"، أشار فيها بداية إلى وقوف نصر حامد أبي زيد عند مفهوم "الرّسالة" متلمّسا مفهوم النصّ القرآني ليبرز أنّه نصّ لا ينفصل عن واقع نزوله وتشكّله، وأنّ النصّ منتج ثقافيّ واقع ضمن أفق تاريخيّ في جدل أرضيّ سماويّ، وأنّ التّركيز على هذا البعد الحيويّ للقرآن يأخذه باتّجاه أن يكون خطابا له سياقاته الاجتماعيّة وتفاعلاته الحيّة، في خروج عن مفهوم نصّ ثابت له بنية نصّية متجزّئة تضع المتكلّم ومقصده في بؤرة الاهتمام، مما ينتج عنه التّأويل والتّأويل المضادّ، وقوفا عند الجهود المبذولة دائما في المحاولات التّأويليّة لدى مختلف الأطراف لرفع التّناقض مابين الواقع والنصّ، أو محاولة إسقاط النّتائج الواقعيّة على النصّ، و استنطاقه حسب الاستشهادات التي نستخدمها.

إنّ تناول القرآن كخطاب ذي بنية تحاوريّة ونسق يقوم على التّفاعل، يأخذ في الاعتبار التطوّر الدّلالي للغة القرآن، وتتضمّن أنّ كلّ جزء ينتمي إلى سياق مختلف، وموقف اجتماعيّ مختلف، ومن ثمّ يختفي أيّ تناقض تبعا لفهم كلّ خطاب في سياقه.

ثمّ إنّ إعادة تعريف القرآن كمجموعة من الخطابات، متعدّدة السّياق ومتعدّدة المستقبلين (عودة إلى البعد الشّفوي للقرآن قبل تشكّله نصّا) رؤية مهمّة في السّعي والبحث عن حقيقة العالم وراء ساحات الخطاب القرآنيّ، رؤية مغايرة وبعيدة عن التّوظيف الإيديولوجيّ والسّياسيّ .

هكذا تناولت النّدوة مشروع نصر حامد أبي زيد الفكريّ من زوايا متعّددة ومختلفة.

ريم الدّندشي

مقرّرة وحدة الدّراسات الفلسفيّة والتّأويليّة